الرِّسَـــالة ٩٠

كيفَ نَعْرِفُ الطريقَ؟!

(Arabic - How can we know the way!)

أحبّائِى.. حَديثنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **كيفَ نَعْرِفُ الطريقَ؟!**

ومِنْ إنجيل يُوحنّا الأصْحَاح الرّابع عَشَرَ نقرأ العَدَدَ الخَامِس:

"قالَ توما ليَسُوعَ: لسْنَا نعلمُ أينَ تذهَبُ.. فكيفَ نقدِرُ أنْ نَعْرِفَ الطريقَ؟!".[1]

إنّ أفضلَ وَسيلةٍ لمَعرفة مَا نجْهلهُ أوْ مَا يَستعْصِى علينَا إدراكهُ هُو السّؤالُ عنهُ والاستعانة بمَنْ هُو أدْرَى بهِ.. بشَرْط أنْ يكونَ المَسئولُ مَوضِعَ ثقةٍ مُتيقنينَ مِنْ أمَانتهِ وإخلاصِهِ للحَقّ.. ولنْ يَتعذرَ علينَا الوُصولُ إلى مَنْ هو كفْءٌ وجَديرٌ بثقتِنا فيهِ.. طالمَا نحنُ نثق ولا نشكّ فى وُجُود المُخلصين.. وبالتالى لنْ يتعَذرَ علينَا الوُصُولَ إلى مَعْرِفةِ الحَقّ.. وليسَ مِنَ الحِكمَةِ أنْ نحكمَ على جَميع النّاس حُكماً واحِداً إيجَابيّاً أوْ سلبيّاً فنحْنُ آدَميّين فينَا الصّالحُ وفينَا الطالحُ وليسَ كلنَا سوَاء.. ولنْ يُجدينا نفعاً أنْ نقفَ حَيارَى مَكتوفى الأيْدى دونَ استفسَار غيرنَا عَمّا نجْهلهُ.

وحَديثنَا اليَوْمَ يتناولُ مَوْضُوعًا هاماً وهو: كيفَ نعْرِفُ الطريقَ؟.. والذى طرَحَ السُؤالَ كانَ توما وهُو واحدٌ مِنْ تلاميذِ السيّدِ المَسيح.. ونرَاهُ هنَا سَائلاً الرّبّ بالنيَابَةِ عَنْ جَمَاعَةِ التلاميذ.. وبالرُجُوع إلى الإنجيل نلاحظ أنّ لشخصيّة توما طابَعاً مُعَيّناً نلمَسُهُ فى كلّ مُناسبَةٍ جَاءَ ذِكرُهُ فيهَا بالإنجيل.. ومِنَ المُفيد لنَا أنْ نحيط بشخصيّةِ السّائل لأنهُ بذلكَ يَتضحُ لنَا إلى أىّ مَدَى يُريدُ صَاحبُهُ مَعْرفة الإجَابَة.. ولقدْ اعتدنَا نحْنُ المَسيحيِّين إذا جَاءَ ذِكرُ توما أنْ يتبادرَ إلى أذهاننَا صِفة (الشكّ) المُميّزةِ لهُ.. فهُو الذى أجَابَ إخوتَهُ التلاميذ بقولهِ لهُمْ: "إنْ لمْ أبْصرْ فى يَديْهِ أثرَ المَسَامير وأضَعْ إصبَعى فى أثر المَسَامير وأضَعْ يدِى فى جَنبهِ لا أؤمن".. هذا حينَ بَشّرُوهُ بقيامَةِ يَسُوع وأنّهُ جَاءَ إليهمْ ورَأوهُ جَميعاً بأعيُنهمْ عَدَاهُ إذ لمْ يكنْ مَعَهُم حينَ جَاءَهُمْ يَسُوع.. ولا يَغيبُ عَنْ أذهاننَا أنّ توما يسْألُ (المُعلمَ) الرّبّ يَسُوع.. فلقدْ وَجّهَ سُؤالهُ لمَنْ يَملكُ الإجَابَة عَنْهُ.. ونلاحظ أيْضاً أنّهُ استهلّ سُؤالهُ بقولهِ: لسْنا نعلمُ!. ولمْ يقلْ: لسْتُ أعلمُ!. أعْنى بهذا أنّ توما لمْ يرَ مَا يُوجبُ ليَعتمِدَ على إخوتِهِ التلاميذ لمَعْرِفةِ الإجابَةِ.. لأنّهُ رُبّما تطلعَ إليهمْ ورأى أنّ مَلامِحَ وُجُوههمْ تكشفُ عنْ عَدَم مَعْرفتهمْ.. فتطوّعَ هُو بتقديم السّؤال.[2]

ولكىْ نعْرِفَ لمَاذا وّجّهَ توما هذا السّؤال فمِنَ الأفضل أنْ نعْرِفَ مَا دَارَ مِنْ حَديثٍ سَابق ومَا جَرَى مِنْ أحْدَاث تاليَةٍ.. فلقدْ كانَ هَذا قبلَ عيدِ الفِصْح بَعْدَ العَشَاءِ حينَ قامَ يَسُوعُ وَخلعَ ثيابَهُ وأخذ مِنشفة وائتزرَ بهَا ثمّ صَبّ مَاءً فى مِغْسلٍ وغَسلَ أرْجلَ تلاميذهُ ومَسَحَهَا.. ثمّ بدأ حَديثاً مَعَهُمْ مَضْمُونهُ أنهُ أعْطاهُمْ مِثالاً حتى كمَا صَنَعَ بهمْ يصنَعُون هُمْ أيضا بَعْضٌ لبَعض. وقالَ يَسُوعُ لهُمْ: "الحَقّ الحَقّ أقولُ لكمْ إنّ واحِداً مِنكمْ سَيُسلمُنى" فاحتارَ التلاميذ وأخذوا ينظرُون بَعضهُم إلى بَعْض. وكانَ المَسيحُ يَعنى يَهُوذا التلميذ الخائن. ثمّ خاطبَهُم قائلا: "يَا أوْلادى أنَا مَعكمْ زمَاناً قليلاً بَعْدُ. ستطلبُوننى وكمَا قلتُ لليَهُودِ: حَيْثُ أذهَبُ أنَا لا تقدِرُونَ أنتمْ أنْ تأتوا أقولُ لكمْ أنتمْ الآنَ. وَصيّة جَديدَة أنَا أعْطيكمْ أنْ تحبّوا بَعْضكمْ بَعْضاً. كمَا أحببْتكمْ أنَا تحبّونَ أنتمْ أيضاً بَعْضكمْ بَعْضا. بهذا يّعْرِفُ الجَميعُ أنكم تلاميذى إنْ كانَ لكمْ حُبٌ بَعْضٌ لبَعْض". ثمّ جَرَى الحَديثُ عَنْ بطرس وأنهُ سَينكرُهُ ثلاثَ مَرّاتٍ.

فى ذلكَ الجَوّ الذى اتسمَ بعَدَم إخلاص التلاميذ الذين أحَبّهُمْ إلى المُنتهَى.. أرَادَ الرّبّ يَسُوعُ أنْ يُؤكِدَ حُبّهُ لهُمْ وتمَسكهُ بهمْ أميناً على عَهْدِهِ مَعَهُمْ رَغْمَ مَا سَيبْدُو مِنْهُمْ مِنْ عَدَم أمَانةٍ.. وأرَادَ أيْضاً أنْ يُبيّنَ مَحّبتهُ لهُمْ حتى لو ضَعُفتْ مَحَبّتهُمْ وفترَتْ.. وحتى لو لمْ تصمُدْ طبيعتهُمْ البَشريّة الضَعيفة أمَامَ زوابع الأحدَاثِ وهيمَنة قوّاتِ الظلمَةِ.. فى ذلكَ الجَوّ المَشحُون بالحيْرَةِ والقلق أعْطاهُمْ رَجَاءً وأمَلاً .ً مُتغاضياً عَنْ ضَعفاتهمْ الطارئة.. فلقدْ عَرَفَ قلوبَهُمْ المُخلصَة لهُ وهُمْ الذين تركوا كلّ شىْءٍ وتبعُوهُ.. وعَرّفهُمْ بكلّ مَا سَيَحْدُثُ فى السّاعَاتِ القليلةِ المُقبلةِ.. وبَدأ يَسُوع

---

[1] إنجيل يوحنا ١٤: ٥ ، استمع إلى الإنجيل

[2] إنجيل متى ١٠: ١– ٣ ، إنجيل مرقس ٣: ١٤–١٨، إنجيل لوقا ٦: ١٢–١٦، إنجيل يوحنا ١١: ١٦ & ١٤: ٥ & ٢٠: ٢٤ &٢١: ٢

يفصحُ لتلاميذِهِ بأنهُ سَيترُكهُم بالجَسَدِ وسَيَمْضِى إلى حَيثُ كانَ قبلَ تجَسّدِهِ.. وقالَ لهُمْ: "أنَا أمْضِى لأعِدّ لكمْ مكانا.. وإنْ مَضيْتُ وأعْدَدْتُ لكمْ مكانا آتى أيضاً وآخذكمْ اليّ.. حتى حيثُ أكونُ أنَا تكونونَ أنتمْ أيضاً.. وتعلمُونَ حَيثُ أنا أذهبُ وتعلمُونَ الطريق.. قالَ لهُ توما يَا سيّدُ لسْنَا نعلمُ أينَ تذهَبُ فكيفَ نقدِرُ أنْ نعْرفَ الطريق".[1]

كانتْ آمَالُ التلاميذ مُنحَصرَة فى بقائِهِ مَعَهُمْ. ثمّ عَرفوا أنهُ لنْ يَبقى مَعَهُمْ وأنهُ مَاض إلى الآب. ولكنّهُ سَيُرْسلُ لهُمْ الرّوحَ القدُس. روُح الحَقّ ليقوّيَهُمْ ويُرْشدَهُمْ ويُعلمَهُمْ ويُخبرَهمْ بأمُورُ آتيَةٍ لأنهُ ذاهِبٌ إلى الآبِ. اهتزّتْ مَشاعِرُهُمْ واضطربَتْ قلوبُهُمْ. كانت مَشاعِرُهُمْ مَزيجٌ مِنْ حُزْن على فراقِهِ وحَيْرَة لمَا هو آتٍ. ولكنْ مَا وَعَدَهُمْ بهِ أزالَ كثيراً مِن اضْطرَابهمْ وَضيقهمْ. لا سيّمَا وَعْدُهُ لهُمْ أنهُ سَيأتى ثانيَة ليَأخذهُمْ. وأنّ الرّوحَ القدُسَ سَيلازمُهُمْ حتى مَجيئِهِ. ذلكَ أعْطاهُمْ سَلاماً ووَضَعَ فى قلوبهُمْ أسَاساً رَاسخاً مِنَ الرّجَاءِ. ولكنهُمْ احتارُوا حينمَا قالَ لهُمْ: "وتعلمُونَ حَيثُ أنَا أذهَبُ وتعلمُونَ الطريقَ".. مَا عَسَى أنْ يكونَ الطريقُ؟!.. لقد اشتاقوا لمَعْرفةِ الطريق.[2]

انبرَى توما بسُؤالهِ: "لسْنَا نعلمُ أينَ تذهَبُ. فكيفَ نقدِرُ أنْ نعْرفَ الطريقَ؟". قدّرَ الرّبّ لهفة قلبِ توما للمَعرفةِ فأجَابَهُ: "أنَا هُو الطريقُ والحَقّ والحَيَاة. ليْسَ أحَدٌ يأتى إلى الآب إلا بى".. كانتْ إجَابَة الرّبّ يَسُوعَ واضِحَة جليّة.. إجَابَة جَامِعَة مَانِعَة لا تسْمَحُ بسُؤال آخر.. فهُو الطريقُ: ومَا يؤكدُ ذلكَ أنهُ هُو الحَقّ.. ومَا يَضْمَنهُ: أنهُ هُو الحَيَاة وقاهِرُ المَوْتِ.. ومَنْ عَرفَ يَسُوعَ عَرَفَ الطريقَ وأدْرَكَ الحَقّ وضَمَنَ الحَيَاةَ.. وَمَنْ لمْ يَعْرفهُ ضلّ الطريقَ. فليْسَ أحَدٌ يأتى إلى الآب إلا بيَسُوع المَسيح المُخلص الوَحيد.. أطمأنّ توما واطمَأنتْ قلوبُ بَاقى التلاميذ. إلا أنّ أشوَاقاً اشتعلتْ كاللهيب فى قلبِ تلميذٍ آخر تمَنى لوْ رَأى الآبَ أيْضاً.. لقدْ رَأى يَسُوع الذى هُو الطريقُ إلى السّمَاء حَيثُ الآب الجَالس على العَرْش البَهىّ.. وسَبَق أنْ سَألَ توما عَن الطريق وأجَابَهُ الرّبّ.. والآن يتسَاءَلَ فيلبّسُ فى نفسِهِ: لمَاذا لا أتقدّمُ بطلبِ رُؤيَةِ الآب؟!. وعلى التوّ تقدّمَ فيلبّسُ بسُؤالِهِ: "يَا سيّدُ أرنَا الآبَ وكفانَا".[3]

إنّ الذى خطرَ على ذهن فيلبّس هو أنهُ رأى ابنَ الله الذى هو الطريقُ إلى الآب السّمَاوىّ.. فمَاذا يَمْنعُ أنْ يَرَى الآبَ الذى هو غايَة الطريق؟. فاذا بالرّبّ يَسُوع يُجيبُهُ فى وُضُوح وجَلاءٍ.. وفى قالبِ عتابٍ رقيق لفيلبّسَ قالَ: "أنَا مَعكمْ زمَانا هذهِ مُدتهُ ولمْ تعْرفنى يَا فيلبّس؟!. الذى رآنى فقدْ رأى الآب.. فكيفَ تقولُ أنتَ أرنَا الآبَ؟!. ألسْتَ تؤمِنُ أنّى أنَا فى الآبِ والآبَ فىّ؟!. صَدقونى أنّى فى الآبِ والآبَ فىّ".. كانَ سُؤالُ توما بَاباً لمَعْرفةِ الابن أنّه هو الطريقُ.. وكانَ سُؤالُ فيلبّس بَاباً لمَعْرفةِ الآب أنّه فى الابن ومَنْ رآى الابنَ فقد رأى الآبَ.. إجابَة الرّبّ على سُؤال توما أوْضَحَتْ لنَا أنّ الابنَ هُو الطريقُ الوَحيدُ إلى الآبِ.. وإجَابَة الرّبّ على سُؤال فيلبّس أوْضَحَتْ لنَا التدْبيرَالذى كانَ منذ الازل لخلاص البشريّةِ بدَم يَسُوع المَسيح ابن الله.. الذى جاءَ مِنَ السّمَاءِ ظاهراً فى الجسد وجَالَ يَصْنعُ خيْراً. شفى مَرضَى وأقامَ مَوتى ثمّ صُلِبَ ومَاتَ وقامَ وصَعِدَ إلى السّمَواتِ. وَوَعَدَ أنّهُ سَيأتى ثانيَة.[4]

وبَعْدَ أنْ أنهَى الرّبّ يَسُوع إجَابتهُ لسُؤال فيلبّس أعلنَ لتلاميذِهِ سُلطانَهُ المُسَاوى لسُلطان الآب فى استجَابتِهِ لصلوَاتِهمْ وطلبَاتِهمْ.. إذ قالَ لهُمْ: "ومَهْمَا سألتمْ باسمِى فذلكَ أفعَلهُ ليتمَجّدَ الآبُ بالابن.. إنْ سَألتمْ شيئاً باسْمِى فإنى افعلهُ".. كانَ تأثيرُ هذا الوَعْدِ مِنَ الرّبّ قوياً عَميقاً أرَاحَ نفوسَهُمْ وطيّبَ قلوبَهُم.. ولقدْ نقلَ إلينَا التلاميذ كلّ مَا قالهُ الرّبّ لهُمْ. ومَا شاهدُوهُ ومَا اختبَرُوهُ قبلَ وبَعْدَ صلبهِ ومَوتِهِ ودفنِهِ وقيَامتِهِ وظهُورِهِ ثمّ صُعُودِهِ.. ومَا سَجّلوهُ يُعطينَا إحسَاساً كأننا عِشنَا فى زَمَانِهمْ ومَعَ المَسيح ابن اللهِ المُتجَسّد.. فليتنَا نتعلمُ مِمّا نقلوهُ إلينَا وسَجّلوهُ بوَحْى الرّوح القدُس.. لنَعْملَ بهِ ونَحْيَا مَعَ المَسيح الحَىّ الذى وَعَدَنَا بقولهِ: "وَهَا أنَا مَعكمْ كلّ الأيّام إلى انقضَاء الدّهْر".[5]

عزيزى القارئ: أدْعُوكَ كىْ تشتركَ مَعِى فى تِلكَ الصلاة: أبَانا السّمَاوىّ.. أشكرُكَ مِنْ أجل الدَم المَسفوك لأجلى. كىْ أنالَ غفرانا لخطايَاى وحيَاة أبديّة.. هَبنى إلهى قوّة لأفعلَ مَشيئتكَ حَامِلاً الصليبَ تابعاً ذاكَ الذى هُو الطريقُ والحَقّ والحيَاة.. آتى إليكَ فى اسم يَسُوعَ الفادِى.. واثقاً فى وَعْدِكَ يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاع تلك الرِّسَالة أو غيرها ستجدُ ذلك فى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] إنجيل يوحنا ١٣: ١ ، إنجيل متى ١٩: ٢٧ ، إنجيل مرقس ١٠: ٢٨ ، إنجيل لوقا ١٨: ٢٨ ، إنجيل يوحنا ١٣: ١-٦
[2] إنجيل يوحنا ١٤: ١٢& ١٧& ٢٦
[3] إنجيل يوحنا ١٤: ٦ ، سفر أعْمال الرُسل ٢: ٢٤ ، إنجيل يوحنا ١٤: ٨ – ١٤
[4] سفر أعْمال الرُسل ٤: ١٢ ، إنجيل يوحنا ٥: ٢١ – ٢٣ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى تسالونيكى ٤: ١٣– ١٨
[5] إنجيل يوحنا ١٤: ١٣، رسالة بطرس الرسول الثانية ١: ١٦-٢١، رسالة يوحنا الرسول الأولى ١: ١-٤ ، إنجيل متى ٢٨: ١٨-٢٠